الدواء لكل وباء

تأليف

د. محمد هشام طاهري
أبو صلاح

اعتنى به

غلام سرور بن عبد الغفار طاهري
أبو عمر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

المُقَدِّمَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي بيده ملكوت كل شيء، أحمده سبحانه خلق كل شيء وهدى، وجعل لكل أمرًا سببًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خالق الأسباب والمسببات، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خير البريات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا إلى يوم تبدل الأرض والسماوات.

أما بعد؛ فنظرًا لما يمر به العالم أجمع، والناس في العالم الإسلامي، والعربي، وأهل الكويت على وجه الخصوص، من ظهور وباء ما يسمى بـ «**كورونا**»؛ فإنه قد أشار عليَّ بعضُ مَن لا يسعني إلا استجابته

أن أكتب شـيئًا فيـما يتعلق بالخطـوات الشرعية لمثل هذه الأوبئة العصرية، التـي عمت البلاد، وأخافت العباد؛ فكتبت هذه الرسالة بيانا للخطوات العملية لمكافحـة وعـلاج الأوبئـة العصريـة، وسـميتها بـ: **(الدواء لكل وباء)**.

والله تعـالى أسـأل أن يجعلهـا سـببًا في صـون المسلمين والمسلمات، وشفاء لكل المبتلين والمبتليات، وآن أوان الشروع في المقصود:

١- التوكل على الله

مِـن أعظـم الأدويـة النافعة في مكافحـة الأوبئة السارية، التوكل على الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الآية من سورة الأنفال].

قـال العلامة ابـن كثـير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَيْ: يَعْتَمِد عَلَى جَنَابِـهِ، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ أَيْ: لَا يُضام مَنِ الْتَجَأَ إِلَيْـهِ، فَإِنَّ اللهَ عَزِيـزٌ مَنِيعُ الجَنَابِ، عَظِيمُ السُّـلْطَانِ، حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ، لَا يَضَعُهَا إِلَّا فِي مَوَاضِعِهَا).

[تفسير ابن كثير (٤/ ٧٦)]

وقـال الله جـلّ في عـلاه: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [سـورة الزُّمَرِ، من الآية: ٣٦]؛ فالمؤمن مستيقن

بأن الله كافٍ عباده، وهو متولي أمرهم بربوبيته عليهم، سبحانه وتعالى.

ولنعلم أن التَّوكل مبنيٌّ على أمرين عند أهل السنة والجماعة، وهما:

١- اتخاذ الأسباب الدنيوية المتاحة المباحة، فهذا من التوكل، كما قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْقِلُهَا، وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُهَا، وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «**اعْقِلْهَا، وَتَوَكَّلْ**».

[رواه الترمذي في سننه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع]

٢- اعتماد القلب على خالق الأسباب، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومما يزيد من هذا النوع من التعلق بالله، قراءة أذكار الصباح والمساء، والنوم، والأدعية المطلقة، ويزيد المؤمن تعلقًا بالله أن ملكوت السماوات والأرض

بيد الله تعالى، وأن كل شيء بتقديره، قال الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الآية من سورة التغابن].

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**التوكل**: اعتماد القلب على الله تعالى، وذلك لا ينافي الأسباب، ولا التسبب؛ فغالب التسبب ملازم التوكل؛ فإن المعالِج الحاذق يعمل ما ينبغي، ثم يتوكل على الله في نجاحه، وكذلك الفلَّاحُ يحرث ويبذر، ثم يتوكل على الله في نمائه، ونزول الغيث من السماء).

[الطب النبوي لابن طولون ص٢٢٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ظنّ طائفةٌ أنّ التّوكل لا يحصل به جلب منفعة، ولا دفعُ مَضَرَّةٍ؛ بل كان مقدورا بدون التوكل؛ فهو مقدور

معـه، ولكن التوكل عبـادة، يُثَابُ عليهـا مِن جنس الرضا بالقضاء، وقول هؤلاء يشبه قول من قال: إن الدعـاء لا يحصـل به جلب منفعـة، ولا دفع مضرة؛ بـل هو عبادة يثاب عليهـا...، والجمهور أن المتوكل والداعـي يحصل له من جلب المنفعة ودفع المضرة ما لا يحصل لغيره، والقرآن يدل على ذلك).

[الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٧٦)]

وقـال العلامة ابن القيـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تحقيق التوكل عليـه، والتفويض إليه، والاعتراف له بأن ناصيته في يده، يصرفه كيف يشاء، وأنه ماض فيه حكمه، عدل فيه قضاؤه...

وأن يرتـع قلبـه في رياض القـرآن، ويجعله لقلبه كالربيـع للحيـوان، وأن يسـتضيء بـه في ظلـمات الشبهات والشـهوات، وأن يتسلى به عن كل فائت،

ويتعـزى به عن كل مصيبة، ويستشـفي به من أدواء صدره، فيكون جلاء حزنه، وشفاء همه وغمه).

[الطب النبوي له (ص١٤٩)]

وقـال العلامـة ابـن مفلـح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واعلـم أنه يحصل بأعمال القلوب من التوكل على الله، والاعتماد عليـه وغير ذلك من الشـفاء ما لا يحصل بغيره؛ لأن النفس تقوى بذلك.

ومعلوم أن النفس متى قويت، وقويت الطبيعة، تعاونا على فعل الداء، وأوجب ذلك زواله بالكلية، ومثـل هـذا معلوم مجـرب مشـهور، ولا ينكـره إلا جاهل أو بعيد عن الله) [الآداب الشرعية (٣/ ١٢٤)].

٢- تقوى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ

إنّ مِـن أكثـر الأسـباب دفعًـا للأوبئـة، وجُنّـةً لـلأدواء: تقوى الله تعـالى، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣ ﴾.

[الآيتان من سورة الطَّلَاقِ]

وقال الله جل في علاه: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣١ ﴾ [الآية من سـورة الصافات] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَيْ: هَكَذَا نَصرِفُ عَمَّنْ أَطَاعَنَا المَكَارِهَ وَالشَّـدَائِدَ، وَنَجْعَلُ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا).

[تفسير ابن كثير (٧/ ٣٠)]

والمتقي يعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ ويعلم أن ما يصيبه من لأواء الدنيا، وأوبائها، إنما هي بتقصير منه، سواء بتقصير في حق الله تعالى، أو في حق الآدميين، أو في تقصيره في الأخذ بالأسباب، واتخاذ المتاح من الأبواب.

وحينئذٍ إذا أصيب بمصيبة يعلم أنها بتقصيره؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾ ﴾ [الآيتان من سورة الشورى].

فلا يقول المتقي لماذا هذا؟ ولا يقول: كيف هذا؟ لأنه يعلم أن كل بلاء فبتقصير، أو لرفعة، أو لامتحان؛ فيميز الله الخبيث من الطيب، وتظهر

المعـادن من الناس، ويتجـلى المؤمنون المعتصمون به سـبحانه، مـن الكاذبـين الملتجئين إلى غـيره؛ فيزداد المؤمن حمدًا لله تعالى، كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَعَنْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَـتْ: كَانَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى مَـا يُحِـبُّ قَالَ: «**الحَمْدُ لِلهِ الَّـذي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**»، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «**الحَمْدُ لِلهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**» [رواه ابن ماجه في سننه، وحسنه الألباني].

٣- المحافظة على الصلاة

إن الصلاة من أعظم العبادات التي تقوي الإيمان، والنفس، والبدن؛ فينبغي على المسلم أن يحافظ عليها، وأن يداوم عليها؛ فإن المداومة عليها، والمحافظة عليها من أسباب الشفاء.

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجد فيها راحته، وبها أنسه وفرحته، فعن عبدِ الله بن محمَّد ابن الحنفيّة، قال: انطلقتُ أنا وأبي إلى صِهْرٍ لنا من الأنصار نعودُه، فحَضَرتِ الصلاةُ، فقال لبعض أهله: يا جاريةُ، ائتوني بوَضوءٍ، لعَلِّي أصَلِّي فأستريحَ، قال: فأنكَرْنا ذلك عليه، فقال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قُم يا بلالُ، فأرِحْنا بالصَّلاة**».

[رواه أبو داود، وهو حديث صحيح]

٤- التوبة والإكثار من الاستغفار

لا ينـزل ذنـب إلا ببـلاء، ولا يُرفـع إلا بتوبـة، ولا يكـون تقصـير إلا ينتـج عنه الأمراض النفسـية والبدنيـة؛ فالواجب محوُ ذلك بالتوبة والاسـتغفار، قـال الله تعـالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [سورة هود، من الآية: ٣].

فالاسـتغفار سبب لكشف الكربات، ودفع الأوبة والبلايات، ونزول الرحمات، ونيل التمتع بالعافية، قال عَبْدُ اللهِ بْن عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَكْثَرَ مِن الِاسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِـنْ كُلِّ ضِيـقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَـهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِـبُ**»

[رواه الإمام أحمد في مسنده، وهو حديث صحيح].

وقال نوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾.

[الآيات من سورة نوح]

وقال هودٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

[الآية من سورة هود]

ومن أجمع صيغ الاستغفار: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْه».

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الآية من سورة الأنفال]؛ فأكثروا عباد الله من الاستغفار، واجعلوا لها مجالس في خاصة أنفسكم، والهجوا بالاستغفار، وذللوا به ألسنتكم.

٥- الابتلاء سنة

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [الآيات من سورة العنكبوت].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَمِنْ تَمَام نِعْمَةِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُنْزِلَ بِهِمْ مِنْ الشِّدَّةِ وَالضَّرَرِ مَا يُلْجِئُهُمْ إلَى تَوْحِيدِهِ فَيَدْعُونَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَيَرْجُونَهُ وَلَا يَرْجُونَ أَحَدًا سِوَاهُ، وَتَتَعَلَّقُ قُلُوبُهُمْ بِهِ لَا بِغَيْرِهِ؛ فَيَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالْإِنَابَةِ إلَيْهِ، وَحَلَاوَةِ الْإِيمَانِ، وَذَوْقِ طَعْمِهِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ الشِّرْكِ، مَا هُوَ أَعْظَمُ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ مِنْ

زَوَالِ المَرَضِ وَالخَـوْفِ وَالجَدْبِ، أَوْ حُصُولِ الْيُسْرِ، أَوْ زَوَالِ الْعُسْرِ فِي المَعِيشَةِ).

[الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ١٤٠)]

وقـال العلامة السـعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يخبر تعالى عن تمـام حكمته، وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال: إنه مؤمنٌ، وادَّعى لنفسـه الإيـمان، أن يبقوا في حالة يسـلمون فيها من الفتـن والمحن، ولا يعرض لهم ما يشـوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلـك، لم يتميز الصادق من الـكاذب، والمحق من المبطـل، ولكـن سـنته وعادتـه في الأولـين وفي هذه الأمة، أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشـط والمكره، والغنـى والفقر، وإدالـة الأعداء عليهـم في بعض الأحيـان، ومجاهدة الأعداء بالقول

والعمل، ونحو ذلك من الفتن، التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة، فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق، وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل ذلك على صدق إيمانه وصحته.

ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكا وريبا، وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي أو تصدفه عن الواجبات، دلَّ ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه.

والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فنسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول

الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يثبت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكير، يخرج خبثها وطيبها) [تفسير السعدي (ص٦٢٦)].

ومن هنا فإني أهيب بإخواني أن لا ينشغلوا بالقيل والقال، وأن يحسنوا الفعال، وأن لا يكونوا ممن ينشغلون عن أصل العلاج بما لا يفيد حالًا ولا مآلًا؛ فلا ننشغل بـ: من أين جاء الوباء؟ وبنظرية المؤامرة؟ بل علينا أن نعلم أنه من تقصيرنا، ومن ذنوبنا، وأنه من جنس الابتلاءات؛ فإن رجوعنا إلى الله تعالى من أعظم ما يرفع البلاء، ويدفع الوباء.

٦- درهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج

وهذا مثل معروفٌ عند العرب، وهو من أقوى أنواع العلاجات الطبية النفسية، والبدنية؛ فإن من ترك الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ» [رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا].

فعلينا أن نبتعد عن كل ما يوصل أو يؤدي إلى المرض، سواء كان ذلك بالخلطة، أو بالسفر، أو بالملامسة، أو بالمجالسة، ونحو ذلك، أو بأخذ الأطعمة المضرة، أو الأشربة السامة، كالخمر ونحوها.

وقال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩﴾ [الآية من سورة البقرة].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسانُ من الطريق السهل القريب...، التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمرًا من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه، فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود) [تفسير السعدي (ص٨٨)].

(قال ابن عقيل في الفنون: العقلاء يعلمون أن الاحتراز لا يقدح في التوكل، وأن دقيق الحيل من

الأعداء، يُدْفَعُ بلطيف التحرز، والمبالغة في التحفظ) [الآداب الشرعية (٢/ ٢٧٨)].

ومن هنا فينبغي علينا الاهتمام بـ: النظافة، والاغتسال، والوضوء، والاستنشاق، والمبالغة فيه، وغسل اليدين لا سيما عند الاستيقاظ من النوم، وعند الملامسة، وترك المصافحة إذا اقتضت الحاجة، والتحصين بالأدعية والأذكار.

٧- البحث عن الأدوية المتاحة المباحة

قال الله تعالى عن ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾ [الآيتان من سورة الكهف].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادرا على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل) [تفسير السعدي (ص٤٨٥)].

وَفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»** [رواه البخاري].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داءِ الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها؛ بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجزًا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره

في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلًا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا، ولا توكله عجزًا).

[الطب النبوي له (ص١٤)]

٨- عليكم بالشفائين

هناك أدوية عامة وهي نافعة لكل مرضٍ، يدرك ذلك الأطباء المتقدمون منهم والمتأخرون، وأما الأدوية الخاصة لكل مرض؛ فهذه لا يدركه إلا البعض من الأطباء، وعلى المرضى اتخاذ الأدوية العامة والخاصة، خصوصًا إذا لم تتعارض، وإلا فعليهم بالأدوية الخاصة التي يصفها الأطباء المختصون.

ومن الأدوية العامة: القرآن الكريم، وهو شفاء لكل داءٍ معنوي، أو حسي، نافع لكل مرض قلبي أو جسدي؛ وذلك لأنه كلام الله تعالى الذي خلق هذا البدن والنفس؛ فتلاوته بنية الرقية نافعة ولا ريب، قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ

مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ [الآية من سورة الإسراء].

ومن الأدوية العامة: العسل قال الله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [سورة النحل، من الآية ٦٩].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِالشِّفَائَيْنِ: الْعَسَلُ، وَالْقُرْآن**» [أخرجه الحاكم وهو صحيح].

قال ابن طولون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بالشفائين العسل والقرآن**»: فيه سرٌّ لطيفٌ أي لا يكتفي بالقرآن وحده ويُبْطِل السَّعيَ؛ بل يعمل بما أُمِرَ، ويَسْعَى في الرزق كما قُدِّر، ويسأله المعونة والتوفيق لما يَسّر، بمنزلة الفلّاح الذي يحرث الأرض ويودعها البذر ثم يضرع إلى خالقه في دفع

العاهات، وإنزال القطر، ويستعمل بعد ذلك التوكل عليه سبحانه في إتمام ما منه حذر، وَأُنْذِرَ في جلب الصّحة، ودفع الضرر) [الطب النبوي له (ص٢١١)].

٩- إياكم والتضجر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الآيات من سورة المعارج]؛ فدلت الآيات أن الجزع، والهلع، ليس من صفات المؤمنين، الذين هم يحافظون على صلواتهم؛ فالتضجر من قضاء الله تعالى وقدره، ليس من صفات المؤمنين؛ بل إنهم إذا أصابتهم الضراء رجعوا إلى أنفسهم، واتهموا أنفسهم بالتقصير، وعدم الأخذ بالأسباب، مع علمهم بحكمة الوهاب، ورحمة التواب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن هنا فلا ينبغي أن نتضجر من المرض أو الوباء، وإنما نعمل بما يدفعه بالأسباب المتاحة، ولا نظهر تضجرًا ولا هلعًا، ونعلم أن ما يصيبنا

لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، قدر الله سابق، وقضاؤه لاحق، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وما علينا إلا الرجوع إلى الله تعالى ليعلمنا الأسباب، ويتجاوز عن تقصيرنا في جنابه وهو الكريم الوهاب.

(قال العلامة ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شَكْوَى المَرِيضِ مُخْرِجَةٌ مِنْ التَّوَكُّلِ وَقَدْ كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنِينَ المَرِيضِ؛ لِأَنَّهُ يُتَرْجِمُ عَنْ الشَّكْوَى، وَذُكِرَ هَذَا النَّصُّ عَنْ أَحْمَدَ، وَقَالَ: فَأَمَّا وَصْفُ المَرِيضِ لِلطَّبِيبِ مَا يَجِدُهُ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ انْتَهَى كَلَامُهُ).

[الآداب الشرعية (٢/ ١٨٣)]

و(قال ابن عقيل في الفنون: النِّعمُ أضيافٌ، وقِرَاها الشُّكر، والبلايا أضيافٌ، وقِرَاها الصَّبر، فاجتهد

أن ترحل الأضيافُ شاكِرَةً حُسْنَ القرى، شاهدةً بما تَسْمَعُ وَتَرَى) [الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ١٨٥)].

ومن هنا فإني أحث نفسي وإخواني إلى تسكين الناس، وإبعادهم عن كل ما يخوفهم، أو يضجرهم بالقدر المستطاع، وأن نسكنهم، ولا ندخل الهلع عليهم، وأن نرغبهم فيما عند الله تعالى، وأن لا نجزعهم ولا نؤيسهم من رحمة الله تعالى؛ فهو سبحانه أرحم الراحمين.

وعلينا أن نبتعد عن الإشاعات والأكاذيب، وعن نقل الأخبار من غير أهلها، وأن نسمع ما يكون من المصادر الطبية الموثوقة، والمتحدثين الرسميين من الحكومة.

١٠- البعد عن أرض الوباء

من أسباب الوقاية البعدُ عن أرض الوباء، والعاقل لا يقرب من النار، ولا يدخل نفسه البحر وهو لا يعرف السباحة، ولا يلقي بنفسه من الهاوية ويرجو السلامة، وهذا الدين العظيم الذي فيه الأخذ بالأسباب أمرنا بالبعد عن أرض الوباء.

عَن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا**».

[رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما]

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأُمَّةِ فِي نَهْيِهِ عَنِ الدُّخُولِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ -أي: الطاعون- بِهَا، وَنَهْيِهِ عَنِ الْخُرُوجِ

مِنْهَا بَعْـدَ وُقُوعِهِ كَمَالَ التَّحَرُّزِ مِنْـهُ، فَإِنَّ فِي الدُّخُولِ فِي الْأَرْضِ الَّتِـي هُـوَ بِهَـا تَعَرُّضًا لِلْبَـلَاءِ، وَمُوَافَاةً لَهُ فِي مَحَلِّ سُـلْطَانِهِ، وَإِعَانَةً لِلْإِنْسَـانِ عَلَى نَفْسِـهِ، وَهَذَا مُخَالِـفٌ لِلشَّرْعِ وَالْعَقْلِ، بَلْ تَجَنُّبُ الدُّخُولِ إِلَى أَرْضِهِ مِنْ بَابِ الْحِمْيَةِ الَّتِي أَرْشَـدَ اللهُ سُـبْحَانَهُ إِلَيْهَا، وَهِيَ حِمْيَةٌ عَنِ الْأَمْكِنَةِ، وَالْأَهْوِيَةِ الْمُؤْذِيَةِ.

وَأَمَّـا نَهْيُـهُ عَـنِ الْخُـرُوجِ مِـنْ بَلَـدِهِ، فَفِيـهِ مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا: حَمْلُ النُّفُوسِ عَلَى الثِّقَةِ بِاللهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالصَّبْرِ عَلَى أَقْضِيَتِهِ وَالرِّضَا بِهَا.

وَالثَّانِـي: مَـا قَالَـهُ أَئِمَّـةُ الطِّـبِّ: أَنَّهُ يَجِـبُ عَلَى كُلِّ مُحْـتَرِزٍ مِنَ الْوَبَـاءِ أَنْ يُخْرِجَ عَنْ بَدَنِـهِ الرُّطُوبَاتِ الْفَضْلِيَّـةِ، وَيُقَلِّلَ الْغِذَاءَ وَيَمِيـلَ إِلَى التَّدْبِيرِ الْمُجفف

مِنْ كُلِّ وَجْهٍ إِلَّا الرِّيَاضَةَ وَالْحَمَّامَ، فَإِنَّهُمَا مِمَّا يَجِبُ أَنْ يُحْذَرَا؛ لِأَنَّ الْبَدَنَ لَا يَخْلُو غَالِبًا مِنْ فَضْلٍ رَدِيءٍ كَامِنٍ فِيهِ، فَتُثِيرُهُ الرِّيَاضَةُ وَالْحَمَّامُ، وَيَخْلِطَانِهِ بِالْكِيمُوسِ الْجَيِّدِ، وَذَلِكَ يَجْلِبُ عِلَّةً عَظِيمَةً بَلْ يَجِبُ عِنْدَ وُقُوعِ الطَّاعُونِ السُّكُونُ وَالدَّعَةُ، وَتَسْكِينُ هَيَجَانِ الْأَخْلَاطِ، وَلَا يُمْكِنُ الْخُرُوجُ مِنْ أَرْضِ الْوَبَاءِ وَالسَّفَرُ مِنْهَا إِلَّا بِحَرَكَةٍ شَدِيدَةٍ، وَهِيَ مُضِرَّةٌ جِدًّا. هَذَا كَلَامُ أَفْضَلِ الْأَطِبَّاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ، فَظَهَرَ الْمَعْنَى الطِّبِّيُّ مِنَ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَمَا فِيهِ مِنْ عِلَاجِ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ وَصَلَاحِهِمَا...

وَفِي الْمَنْعِ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي قَدْ وَقَعَ بِهَا عِدَّةُ حِكَمٍ:

أَحَدُهَا: تَجَنُّبُ الْأَسْبَابِ الْمُؤْذِيَةِ وَالْبُعْدُ مِنْهَا.

الثَّانِي: الْأَخْذُ بِالْعَافِيَةِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْمُعَاشِ وَالْمُعَادِ.

الثَّالِثُ: أَنْ لَا يَسْتَنْشِقُوا الْهَوَاءَ الَّذِي قَدْ عَفِنَ وَفَسَدَ فَيَمْرَضُونَ.

الرَّابِعُ: أَنْ لَا يُجَاوِرُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ قَدْ مَرِضُوا بِذَلِكَ فَيَحْصُلُ لَهُمْ بِمُجَاوَرَتِهِمْ مِنْ جِنْسِ أَمْرَاضِهِمْ). [زاد المعاد (٤/ ٣٩-٤٠)]

١١- فِرّ من الموبوء

جـاء في الشرع الحكيـم النهيُ عـن الدخول إلى الأرض الموبـوءة، والأماكـن التـي فيهـا الوبـاء أو الطاعـون، وكذلك جاء النهي عن مقاربة الموبوئين، أو ملامسـتهم، وكل ذلـك وقايـة مـن الأمـراض، وعلاجًا للأوبئة أن تتفشـى؛ فعَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ، فَأَرْسَـلَ إِلَيْـهِ النَّبِـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّـا قَـدْ بَايَعْنَـاكَ؛ فَارْجِعْ**» [رواه مسلم في صحيحه].

وكذلـك جاء في حديـث أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**».

[رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما]

فـإذا كان لا يجـوز لصاحب الماشـية المريضة أن يورد ماشيته على الصحيحة؛ فكيف بدخول المريض على الصحيـح بقصد إعدائه، أو إصابته بالمرض، أو العكـس بدخول المعافى على المبتلى؛ فيمرض بسـبب الوباء ونحوه؛ فالواجب الحذر من هذا وذاك.

ويُروَى مرفوعًا: «كَلِّمِ المَجْذُومَ وَبَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قِيدُ رُمْحٍ أَوْ رُمْحَـيْنِ» [أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد، وأخرجه ابـن السـني، وأبو نعيـم في الطـب، وضعفه، وهـو حديث في سـنده متروك]؛ فهذا وإن لم يثبت سـنده، لكن الأطباء ينصحون به، لا سيما في وقت الوباء.

وينبغي اتباع الإرشـادات الطبية، والتوجيهات المرعيـة، التـي تصدر مـن ولاة الأمر؛ فـإن نظر ولي الأمر أوسع من نظر غيره، وطاعتهم في هذه الأمور

أوجب وآكد؛ لما يترتب على ذلك من المصالح العامة والخاصة، وإن ترتب عليه شيء من إضاعة المال أو المصالح؛ فإن ذلك دون ما يترتب على طاعتهم من المصالح العظيمة، التي ترتبط بالبلاد والعباد، ولهذا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [الآية من سورة النساء].

وكذلك هم أدرى بمصالح العباد والبلاد العامة والخاصة؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾ [الآية من سورة النساء].

فـإذا صـدر الأمر مـن ولي الأمـر بالسـكون في البيـوت، أو بلـزوم القرار؛ فالواجـب التزام أمرهم طاعة لله تعالى، وطاعة لرسـوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما جاء في حديـث عُبَادَةَ بْـنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَـالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لاَ نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ».

[رواه البخاري في صحيحه]

١٢- الهواء النقي

إن الهـواء النقـي، مـع الطعام الصحـي، هما من أعظم أسـباب الصحـة البدنية، فالواجـب علينا أن نهتـم بالهـواء النقـي، كـما نهتـم بالمطعـوم الصحي، ومما يـدل على ذلك ما جـاء في حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًـا مِـنْ عُرَيْنَـةَ اجْتَـوَوْا الْمَدِينَةَ؛ «فَرَخَّـصَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتُوا إِبِلَ الصَّدَقَةِ، فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا، وَأَبْوَالِهَا» [متفق عليه].

ومعنـى «اجتـووا المدينـة» أي: اسـتوخموها، فأمرهـم النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يطلبـوا هـواءً ملائـمًا لهـم، وهو هـواء البادية؛ فـدل أن الهـواء النقي نافعٌ للمرضى، كما هو مُقَوٍّ للأصحاء.

قال ابن طولون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي نهيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن القدوم عليه فائدتان:

إحداهما: لئلا يستنشقوا الهواء العفن الفاسد فيمرضوا.

وثانيهما: لئلا يجاوروا المرض فتضاعف البلية بالأمرين) [الطب النبوي له ص٣٠٦].

وعن فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ الْمُرَادِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَرْضًا عِنْدَنَا يُقَالُ لَهَا: أَرْضُ أَبْيَنَ، هِيَ أَرْضُ رِيفِنَا، وَمِيرَتِنَا، وَإِنَّهَا وَبِئَةٌ -أَوْ قَالَ: إِنَّ بِهَا وَبَاءً شَدِيدًا-؛ فَقَالَ: «**دَعْهَا عَنْكَ، فَإِنَّ الْقَرَفَ التَّلَفُ**».

[رواه الإمام أحمدُ، وضعف محققه إسناده]

فالأمر في هذا الحديث بترك هذه الأرض؛ لأنها كانت موبوءة، وزاد البيان بأن سبب التلف إنما هو

المقارنة والمفارقة؛ فكلما قارن الإنسان أرض الوباء كان أقرب لملامسته الوباء.

و(قال الخطابي: إن استصلاح الأهوية من أهون الأشياء على صحة الأبدان، وفساد الهوى من أضرها، وأسرعها إلى أسقام الأبدان عن الأطباء).
[الطب النبوي لابن طولون (ص٤٤)]

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام، والعلة الفاعلة للطاعون، فإن فساد جوهر الهواء الموجب لحدوث الوباء وفساده، يكون لاستحالة جوهره إلى الرداءة، لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه، كالعفونة، والنتن والسمية في أي وقت كان من أوقات السنة، وإن كان أكثر حدوثه في أواخر الصيف، وفي الخريف

غالبا لكثرة اجتماع الفضلات المرارية الحادة وغيرها في فصل الصيف، وعدم تحللها في آخره، وفي الخريف لبرد الجو، وردغة الأبخرة والفضلات التي كانت تتحلل في زمن الصيف، فتنحصر، فتسخن، وتعفن، فتحدث الأمراض العفنة، ولا سيما إذا صادفت البدن مستعدًّا، قابلًا، رهلًا، قليل الحركة، كثير المواد، فهذا لا يكاد يفلت من العطب).

[الطب النبوي (ص٣٣)]

١٣ - تغطية المشروبات والمأكولات، والوقاية بالكمامات

عَـنْ جَابِـرِ بْـنِ عَبْـدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -رَفَعَـهُ- قَالَ: «خَمِّـرُوا الآنِيَـةَ، وَأَوْكُوا الأَسْـقِيَةَ، وَأَجِيفُـوا الأَبْوَابَ وَاكْفِتُـوا صِبْيَانَكُمْ عِنْدَ العِشَـاءِ، فَإِنَّ لِلْجِنِّ انْتِشَـارًا وَخَطْفَةً، وَأَطْفِئُوا المَصَابِيحَ عِنْدَ الرُّقَادِ، فَإِنَّ الفُوَيْسِقَةَ رُبَّمَا اجْتَرَّتِ الفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ البَيْتِ».

[رواه البخاري في صحيحه]

وفي روايـة قَالَ سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُـولُ: «غَطُّوا الإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّـقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّـنَةِ لَيْلَـةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ».

[رواه مسلم في صحيحه]

(قال الليث: الأعاجم يتقون تلك الليلة في السنة في كانون الأول...) [الطب النبوي لابن طولون (ص٢٢٣)].

فينبغي الوقاية، وذلك بحفظ وصون المشروبات، والمأكولات، بل والأيدي، من الملامسة المباشرة للوباء، أو أرضه، أو مظانه، وكذلك ينبغي ترك المصافحة، وفي مثل هذا المقام ينبغي تبيين أن من لم يصافح فلا شيء عليه، وهو الأولى في حال الأوبئة، لحديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحَدُنَا يَلْقَى صَدِيقَهُ أَيَنْحَنِي لَهُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا**». قَالَ: فَيَلْتَزِمُهُ، وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: «**لا**». قَالَ: فَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِنْ شَاءَ**» [رواه الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني].

فعلق المصافحة على المشيئة، وهذا فيه اختيارٌ، ويجب تركه إذا ترتب عليه ضررٌ حسي، أو معنوي.

١٤- ختامه مسك

قال الله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [الآية من سورة المطففين]، وإنما ذكر شراب أهل الجنة بأنها مختومة بخواتيم من مسكٍ؛ فهذا يدل على فضل المسك، وعِظَم مكانته، وجلال قدره ومنفعته.

وجاء في حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «أَطْيَبُ الطِّيبِ المِسْكُ» [رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح].

(قال الذهبي: هو حارٌّ يابسٌ يقوِّي القلبَ، وهو أشرف الطيب، وجَيِّدٌ للمبرودين، يُقَوِّي الأعضاء

الباطنة، شُرْبًا وشَمًّا، جَيِّدٌ للغشيِ والخفقان، ويُفْشِ الرِّيَاحَ، ويُبْطِلُ عملَ السُّموم.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتطيب به، وطيبته به عائشة عند إحرامه وحله، وأمر الحائض عند الطهر أن تتبع به أثر الدم، ويصلح جوهر الهواء، لا سيما في الوباء...، وخياره: الخراساني، ثم الصيني، ثم الهندي) [الطب النبوي لابن طولون (ص٢٣٠)].

١٥- الطاعون شهادة

الموت أمرٌ حتمٌ لا مفرّ منه، والعاقل من يموت وهو ينال الكرامة عند الله تعالى، ولهذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الآية من سورة آل عمران]، أي: لا يأتيكم الموت إلا وأنتم على حال التقوى والصلاح، فتموتوا على ذلك؛ فالآية فيها الحث على دوام الأعمال الصالحة.

ويتمنى المرء المسلم أن يموت شهيدًا يدافع عن الإسلام، وعن المسلمين، وعن أرض الإسلام وديارهم، إذا أمكن ذلك، وقد يكون في زمان يكون فيه الصلح، ولا يتمكن من نيل الشهادة؛ فبين النبي

الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هناك أمواتًا ينالون الشهادة، ومن جملتهم الذين يصابون بالطاعون أو الوباء فيموتون، وهم صابرون محتسبون، غير متضجرين، ولا نادمين، كما قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**» [رواه البخاري ومسلم].

وعَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ شُفْعَةَ، قَالَ: (وَقَعَ الطَّاعُونُ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّهُ رِجْسٌ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: لَقَدْ صَحِبْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَمْرٌو أَضَلُّ مِنْ بَعِيرِ أَهْلِهِ، إِنَّهُ دَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَرَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، فَاجْتَمِعُوا لَهُ، وَلَا تَفَرَّقُوا عَنْهُ؛

فَبَلَـغَ ذَلِكَ عَمْرَو بْـنَ الْعَاصِ؛ فَقَـالَ: صَدَقَ) [رواه الإمام أحمد في مسنده، وإسناده حسن].

وَعَنْ أَبِي قِلَابَةَ، أَنَّ الطَّاعُونَ وَقَعَ بِالشَّـام، فَقَالَ عَمْـرُو بْنُ الْعَـاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ هَذَا الرِّجْـزَ قَدْ وَقَعَ؛ فَفِـرُّوا مِنْهُ فِي الشِّـعَابِ، وَالْأَوْدِيَةِ، فَبَلَـغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَلَـمْ يُصَدِّقْـهُ بِالَّـذِي قَـالَ؛ فَقَـالَ: بَـلْ هُوَ شَـهَادَةٌ، وَرَحْمَـةٌ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللهُمَّ أَعْطِ مُعَاذًا وَأَهْلَـهُ نَصِيبَهُمْ مِنْ رَحْمَتِكَ. قَالَ أَبُـو قِلَابَةَ: فَعَرَفْتُ الشَّـهَادَةَ، وَعَرَفْـتُ الرَّحْمَةَ، وَلَمْ أَدْرِ مَا دَعْـوَةُ نَبِيِّكُمْ، حَتَّى أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَـةٍ يُصَلِّي إِذْ قَـالَ فِي دُعَائِهِ: «**فَحُمَّـى إِذًا، أَوْ طَاعُونٌ، فَحُمَّى إِذًا، أَوْ طَاعُونٌ**». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لَهُ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِهِ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ

تَدْعُو بِدُعَاءٍ. قَالَ: «وَسَمِعْتَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِسَنَةٍ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُلْبِسَهُمْ شِيَعًا، وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَأَبَى عَلَيَّ، أَوْ قَالَ فَمَنَعَنِيهَا، فَقُلْتُ: حُمَّى إِذًا، أَوْ طَاعُونًا، حُمَّى إِذًا، أَوْ طَاعُونًا، حُمَّى إِذًا أَوْ طَاعُونًا**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ [رواه الإمام أحمد في مسنده، وإسناده صحيح، ولمرسلِه شاهد].

والطاعون - من حيث اللغة -: نوع من الوباء، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولما كان الطاعون يكثر في الوباء، وفي البلاد الوبيئة، عبر عنه بالوباء، كما قال الخليل: الوباء: الطاعون. وقيل: هو كل مرض يعم، والتحقيق أن بين الوباء والطاعون عمومًا وخصوصًا،

فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعونا، وكذلك الأمراض العامة أعم من الطاعون، فإنه واحد منها، والطواعين خراجات وقروح وأورام رديئة حادثة في المواضع المتقدم ذكرها.

قلت: هذه القروح، والأورام، والجراحات، هي آثار الطاعون، وليست نفسه، ولكن الأطباء لما لم تدرك منه إلا الأثر الظاهر، جعلوه نفس الطاعون.

والطاعون يعبر به عن ثلاثة أمور:

أحدها: هذا الأثر الظاهر، وهو الذي ذكره الأطباء.

والثاني: الموت الحادث عنه، وهو المراد بالحديث الصحيح في قوله: «**الطاعون شهادة لكل مسلم**».

والثالث: السبب الفاعل لهذا الداء، وقد ورد في الحديث الصحيح أنه: «**بَقِيَّةُ رِجْزٍ، أَوْ عَذَابٍ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بني إسرائيل**» [رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح]، وورد فيه أنه: «**وَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الجِنِّ**» [رواه الإمام أحمد في مسنده، وهو صحيح]، وجاء أنه: «**دعوة نبي**».

وهذه العلل والأسباب ليس عند الأطباء ما يدفعها، كما ليس عندهم ما يدل عليها، والرسل تخبر بالأمور الغائبة، وهذه الآثار التي أدركوها من أمر الطاعون ليس معهم ما ينفي أن تكون بتوسط الأرواح، فإن تأثير الأرواح في الطبيعة وأمراضها وهلاكها أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وتأثيراتها، وانفعال الأجسام وطبائعها

عنها، والله سبحانه قد يجعل لهذه الأرواح تصرفًا في أجسام بني آدم عند حدوث الوباء، وفساد الهواء، كما يجعل لها تصرفا عند بعض المواد الرديئة التي تحدث للنفوس هيئة رديئة، ولا سيما عند هيجان الدم، والمرة السوداء، وعند هيجان المني، فإن الأرواح الشيطانية تتمكن من فعلها بصاحب هذه العوارض ما لا تتمكن من غيره، ما لم يدفعها دافع أقوى من هذه الأسباب من الذكر، والدعاء، والابتهال والتضرع، والصدقة، وقراءة القرآن، فإنه يستنزل بذلك من الأرواح الملكية ما يقهر هذه الأرواح الخبيثة، ويبطل شرها ويدفع تأثيرها، وقد جربنا نحن وغيرنا هذا مرارًا لا يحصيها إلا الله، ورأينا لاستنزال هذه الأرواح الطيبة واستجلاب قربها

تأثيرًا عظيمًا في تقوية الطبيعة، ودفع المواد الرديئة، وهذا يكون قبل استحكامها وتمكنها، ولا يكاد ينخرم، فمن وفقه الله، بادر عند إحساسه بأسباب الشر إلى هذه الأسباب التي تدفعها عنه، وهي له من أنفع الدواء، وإذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ إنفاذ قضائه وقدره، أغفل قلب العبد عن معرفتها وتصورها وإرادتها، فلا يشعر بها، ولا يريدها؛ ليقضي الله فيه أمرًا كان مفعولًا) [الطب النبوي له (ص٣١-٣٢)].

١٦- الصبر في الوباء والطاعون

قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.

[الآيات من سورة البقرة]

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الطَّاعُونِ فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا، يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ؛ فَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ؛ فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ**

لَـنْ يُصِيبَـهُ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَـهُ، إِلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ» [رواه البخاري في صحيحه].

فالصبر الصبرَ عبادَ الله؛ فإن البلاء زائلٌ، والإيمان باقٍ، والمواقف الإيمانية هي التي تميز الصابرين من العاجزين، من الجزعين، من الضجرين؛ واعلم أنه ما من بلاء إلا وقد ذهب، ولم يبق إلا من كان على مثل مَن ذهب، فبان معدنه مِن ذهبٍ، وآخرون تشبهوا بهم فكانوا نحاسًا فخسروا وصاروا هلكى مع ما أصابهم من الجرب.

فعلينا أن نكثر من الحوقلة: لا حول ولا قوة إلا بالله، وأن نكثر من التسبيح، والتحميد، والتكبير؛ فإن ذلك مما ندفع به البلاء والوباء، وأن نكثر من الاسترجاع، وهو: إنا لله وإنا إليه راجعون.

١٧- الدعاء... الدعاء

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [الآية من سورة غافر].

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (باب من دعا برفع الوباء والحمى) وبهذا الباب ختم كتاب المرضى، ثم أورد فيه حديث عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا؛ فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَيَا بِلَالُ، كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَت: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ: كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ. وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ؛ فَيَقُولُ: أَلَا لَيْتَ

شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ، وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مِجَنَّةٍ وَهَلْ تَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ؛ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ؛ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا، وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا؛ فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ**».

وهذا فيه دلالة ظاهرة على أهمية الدعاء لرفع الوباء خصوصًا، وأهمية الدعاء للبلاد والعباد عمومًا، قال إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [سورة البقرة، من الآية ١٢٦]؛ فالدعاء من أعظم الأسباب الشرعية الدافعة للبلاء والوباء، والجالبة للخيرات والنماء.

١٨- الفأل وحسن الظن بالله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾.

[الآيتان من سورة آل عمران]

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ: الْكَلِمَةُ الحَسَنَةُ**» [رواه البخاري في صحيحه].

فينبغي على كل مسلم أن يعلم أن المرض لا ينتقل بنفسه، وإنما ينتقل بأمر الله تعالى أولًا، ثم بالأسباب

الكونية التي جعلها الله تعالى، فينبغي تعلق القلب بالله تعالى، وأنه لا يجوز التطير والتشاؤم؛ فإن الأمور بيد الله تعالى، وينبغي أن نحسن الظن بالله تعالى، وأن نكون متفائلين، محسنين الظن؛ فهو كاشف كل بلوى، وسامع كل نجوى.

وفي الختام أقول: اللهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، ويا راحم العبرات، ويا قيوم الأرض والسماوات، إنا نحسن الظن بك، نعظم الرجاء في رحمتك، فهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الغني الكريم، وارفع عنا مقتك وغضبك، ولا تؤاخذنا بذنوبنا، ولا بما فعل السفهاء منا، وارفع عن البلاد والعباد البلاء والوباء، يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين،

لا نخيب وأنت رجاؤنا، ولا نموت إلا ونحن نحسن الظن بك يا ربنا، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد كما تحب يا ربنا، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه الباري

د. محمد هشام طاهري

دولة الكويت -حرسها الله وصانها

يوم الأحد ٢٠/٧/١٤٤١هـ

الموافق ١٥/٠٣/٢٠٢٠

المحتويات

المقدمة.. ٣

١- التـوكل على الله.............................. ٥

٢- تقوى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.......................... ١٠

٣- المحافظة على الصلاة....................... ١٣

٤- التوبة والإكثار من الاسـتغفار.............. ١٤

٥- الابتلاء سنــة.............................. ١٦

٦- درهــم وقاية خيرٌ من قنطار علاج.......... ٢٠

٧- البحث عن الأدوية المتاحة المباحة.......... ٢٣

٨- عليكم بالشـفائين.......................... ٢٦

٩- إياكم والتضجر............................ ٢٩

١٠- البعد عن أرض الوباء.................... ٣٢
١١- فِرّ من الموبـوء............................ ٣٦
١٢- الهواء النقي................................ ٤٠
١٣- تغطية المشروبات والمأكولات، والوقاية
بالكمامات................................ ٤٤
١٤- ختامه مسك............................. ٤٦
١٥- الطاعون شهادة.......................... ٤٨
١٦- الصبر في الوباء والطاعون................ ٥٦
١٧- الدعاء... الدعاء.......................... ٥٨
١٨- الفأل وحسن الظن بالله تعالى............ ٥٦

تم بحمد الله